

حروف حرة

العدد 26، ماي 2023

مجلة شهرية تصدر عن جمعية تونس الفتاة

التطبيع... تهمة تحتاج إلى ضوابط

موتٌ مؤجل: قراءة في
رواية "دستوبيا 13"

خفايا الإذاعة التونسية
في أواخر العهد البورقيبي

الشعبوية في تونس،
أي معنى؟

هل مات ابن رشد حقا؟

هل مات ابن رشد حقًا؟

ص. 3

مريم مقعدي

التطبيع... تهمة تحتاج إلى ضوابط

ص. 4-5

حمزة عمر

الشعبوية في تونس، أيّ معنى؟

ص. 6-9

قراءة في خطاب الرئيس قيس سعيّد بمناسبة ختم دستور 25 جويلية 2022

سوسن فري

خفايا الإذاعة التونسية في أواخر العهد البورقيبي: قراءة في كتاب

ص. 10-12

عبد العزيز قاسم "بورقيبية المستمع الأكبر"

فهمي رمضاني

مَوْتُ مَوْجَل: قراءة في رواية "دستويا 13" لمحمد بوكوم

ص. 13

كوثر الرّدادي

تقرؤون في هذا العدد



جمعية تونس الفتاة

التصميم

حمزة عمر

صورة الغلاف

Philomag.com

للتواصل معنا

redaction@tounesaf.org

رئيس التحرير

حمزة عمر

فريق التحرير

أنيس عكروتي

فهمي رمضاني

مريم مقعدي

حروف حرّة

مجلة شهرية تصدر عن

جمعية تونس الفتاة

تأسست في مارس 2021

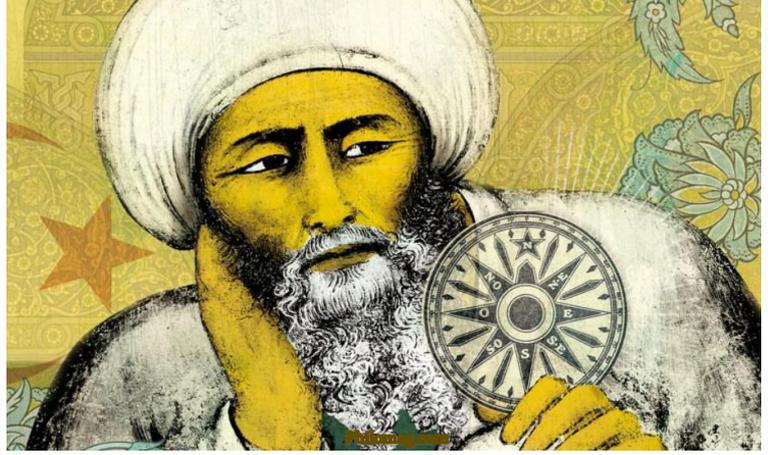
هل مات ابن رشد حقًا؟



بقلم: مريم مقدي

طالبة فلسفة والمشرفة على
مجموعة "عكاظيات"

mogadimariem@gmail.com



من انه لم يبتدع نسقا خاصا به (مثل مشروع كانط النقدي أو الجدل الهيجلي ...) واكتفى بالشرح والتعليق على أعمال أرسطو حتى نعت باسم "الشارح الأكبر"، إلا انه كان الجسر الذي عبرت من خلاله أوروبا نحو حداستها واستطاعت في المقابل تأسيس مسار طويل من العقلانية. و" سيفرح ابن رشد حتما بهذا

اللقب ولن يجد فيه استنقاصا من قيمته"، كما يقول المسكيني، باعتبار أن هذا اللقب نقله من مجرد فيلسوف عربي مسلم، ينضوي تحت أفق الملة إلى فيلسوف كوني داخل أفق الإنسانية. ولكن السؤال الذي يستفز عقولنا هو التالي: هل حقا مات ابن رشد؟

ليس من السهل أن نجيب على هذا السؤال خاصة عندما يتعلق الأمر بالحديث على ابن رشد الذي قال عند احتضاره "تموت روحي بموت الفلسفة". لا معنى إذن لموت الفيلسوف ما دامت الفلسفة لن تموت، أي مادامت الأفكار لها قدرة رهيبة على الطيران مثلما ينسب إلى ابن رشد نفسه إثر عملية إحراق كتبه.

الذين حاولوا أن يفكروا في ظل السلط القائمة من سقراط إلى ماركس. ولعل هذا ما ميّز العصور السابقة عنّا. ذلك أن السؤال الذي لا نكف عن طرحه اليوم: لماذا لم يعد لدينا فلاسفة؟ هو سؤال فارغ من المعنى، لأننا فقدنا كل الإمكانيات التي يمكن أن يولد فيها الفيلسوف. وهنا علينا أن نسأل أنفسنا بشكل جدي: هل أننا اليوم مستعدون حقا لتقبل فلاسفة جدد؟ يبدو أن الأمر هنا لا يتعلق بمجرد القبول من عدمه، وإنما المسألة تتعلق بكوننا اليوم غادرننا منطقة الخطر، تلك المنطقة التي كان فيها قديما ظهور الفيلسوف أمرا ممكنا، بل أكثر من ذلك يكون من الضروري على الفيلسوف أن يظهر فيها مثلما يشهد على ذلك كامل تاريخ الفلسفة (سقراط، غاليلي، ديكارت، سبينوزا ...).

لقد كان ابن رشد في العصر الوسيط مثلا جيدا على قدرة الفيلسوف على المواجهة وعلى جدارته في تدبير المدينة وإدارة شؤونها. وعلى الرغم

في التوطئة التي تحمل عنوان "هل عاد ابن رشد من المنفى؟" في مستهل كتابه "الهجرة إلى الإنسانية"، انطلق فتحي المسكيني من "اعتراف" طريف ومؤلم في الآن ذاته ألا وهو أن ابن رشد قد مات في ذاكرة العرب مرتين: مرة عندما نفى إلى مدينة اليسانة ذات الغالبية اليهودية بتهمة التآمر على السلطة، وكان هذا التآمر عبر خلق جهاز جديد للحقيقة مستمد أساسا من المنطق الأرسطي ومن الحكمة الإغريقية بوجه عام في مواجهة السلطة القائمة. والمرة الثانية التي مات فيها ابن رشد - وهي أشد ألما - هي اللحظة التي تحول فيها اسمه من ابن رشد إلى افيرواس Averroès، أي اللحظة التي تحول فيها من فيلسوف عربي مسلم حاول أن يفكر في أفق الملة إلى آخر بعيد عنّا، مجردا من أية هوية.

لا شك أن نكبة ابن رشد كانت عملا عاما (قوميا) دعت إليه ضرورة سياسية ودينية واجتماعية، ولكن هذا هو قدر كل الفلاسفة

علينا أن نسأل

أنفسنا بشكل جدي:

هل أننا اليوم

مستعدون حقا

لتقبل فلاسفة جدد؟

التطبيع... تهمة تحتاج إلى ضوابط



بقلم: حمزة عمر

رئيس جمعية تونس الفتاة

hamza@tounesaf.org

ونشجب وندد. على سبيل المثال، 46 دولة من أصل 54 عضوا في الاتحاد الإفريقي تعترف بهذا الكيان. تنتاسي كذلك أنّ الحروب نفسها لا تعني إلغاء الآخر كلياً. حتىّ صلاح الدين فاوض وهادن وتنازل في حروبه ضدّ الصليبيين، دون أن يعني ذلك أنّه قبل من حيث المبدأ التسليم في الأرض.

علينا أن نعترف لأنفسنا بأشياء قد يبدو أنّها من باب جلد الذات، ولكنها للأسف حقائق. أولاً، نحن لا نعيش في هذا العالم بمفردنا. ثانياً، نحن كعرب عاجزون عن التنسيق مع بعضنا البعض حتىّ في شأن قضية محورية كالقضية الفلسطينية. ونحن غير قادرين على توفير حدّ أدنى من التضامن والعمل المشترك (في المجال الأكاديمي مثلاً) ما يغنينا ولو نسبياً عن الحاجة إلى التعاون مع دول لها مواقف تتناقض جوهرياً مع ما نؤمن به. ثالثاً، نحن مضطرونّ بحكم موقعنا هذا إلى التعامل مع هذه الدول بشأن وثيق، حتىّ لبناء قدراتنا الذاتية. لنتصوّر مثلاً حال البحث العلمي في بلادنا لو لم تكن منفتحين على الجامعات الأوروبية. نعلم جميعاً أنّه شديد البؤس، وأنّ آليات التعاون الدولي هي ما تبثّ فيه بعض الروح ليظلّ قادراً على رفع رأسه قليلاً. بل أنّنا لا نستطيع أن نخفي فخراً كلّما تُوجّج تونسيّ أو تونسيّة بجائزة أو رتبة علمية مرموقة تمنحها إحدى الجامعات الأوروبية أو الأمريكية. لا شكّ أنّ العديد من أبنائنا الذين يدرسون في الخارج يراملون طلبية إسرائيلية. طبعاً لأنهم ليسوا شخصيات عامة مثل العميد القازدغلي لا نسمع بهم، وذلك لا ينفي وجودهم القطعيّ. هل يجب علينا أن

من المفروض أنّ التعامل حتىّ مع الذين يعترفون بهذا الكيان مرفوضة بدورها. أليس اعترافهم هذا إقراراً منهم بأحقية العدوّ في اغتصاب أرضنا؟

الأمر كذلك فعلاً، ولكن فقط إذا نظرنا إليه من عالم المثلّ دون إقامة أيّ اعتبار للواقع. من الصعب أن نجد دولة أو منظمة دولية لا تعترف بإسرائيل في هذا الزمن. هل نتصوّر مثلاً ألا نكون أعضاء في الأمم المتحدة أو الفيفا أو اللجنة الأولمبية وألا تكون لنا أيّ علاقة بالولايات المتحدة أو الصين أو أيّ دولة

أوروبية؟ بل هل نتصوّر ألا تكون لنا علاقة بأشقائنا المطبّعين على غرار مصر والأردن والمغرب والإمارات والسعودية؟ ألن تدفعنا هذه المثالية إلى حالة عزلة شبه كليّة عن العالم؟ إنّنا ننسى أنّنا بنينا مواقفنا المبدئية في زمن كنّا نتصوّر فيه أنّ انتصارنا مسألة وقت، وأنّ استعادة حقوقنا المشروعة ستكون في المدى المنظور. ما حصل في الواقع أنّ العدوّ راكّم تقدّمه وازددنا نحن غرقاً في تيهنا. هذا ما حوّل الموقف من الصراع من قضية مبدئية إلى حالة إنكار للواقع. اعترافنا بإسرائيل من عدمه لن يغيّر، للأسف، شيئاً من وجودها الفعليّ في العالم الآن وهو ما نصرّ على أن نغمض عيوننا دونه. في العقود السبعة الماضية، نجحوا هم في بناء شبكة واسعة من العلاقات اخترقت حتىّ حزام الممانعة المكوّن أساساً من الدول النامية، في حين بقينا نحن نصرخ

لا يهدأ الجدل حول التطبيع في تونس حتىّ ينبعث، إذ أنّنا لا نعدم أسباباً تشعل جمره في الفينة بعد الأخرى. وما الجدل المثار حول مشاركة العميد السابق لكلية الآداب والفنون والإنسانيات بمثوبة الحبيب القازدغلي، رفقة أساتذة آخرين، في ندوة علمية بفرنسا تضمّ كذلك أساتذة من جامعات القدس وتل أبيب، إلا حلقة -لن تكون قطعاً الأخيرة- في مسلسل طالت فصوله الرياضيين والفنّانين والأدباء والأكاديميين، فضلاً عن السياسيين بطبيعة الحال.

والحقيقة أنّ تجدد الجدل بشكل متواصل حول هذه المسائل يسلط في ذاته الضوء على أحد أهمّ جوانبها: وهي أنّ هذه المسألة غير محسومة. لو كان مفهوم التطبيع محدداً بشكل دقيق، لما انتطح فيه عنزان كما يقول القدامى. أما والأمر على خلاف ذلك، فالباب يبقى دائماً موارباً لتبقى المسألة مفتوحة على تأويلات شتى. والاختلاف، في عرفنا، ليس رحمة، بل قد يكون مدعاة للتخوين والسحل على شبكات التواصل الاجتماعي.

صراع المثلّ والواقع

لماذا يتواصل الخلاف في مثل هذه المسألة؟ المفروض أنّ يكون الأمر بسيطاً. نحن في حالة عداوة مع الكيان الصهيوني منذ أكثر من سبعين عاماً. هذه العداوة تفترض أنّ كلّ تعامل مع أيّ فرد ينتمي إلى هذا الكيان مرفوض بشكل قاطع. بل أنّه

تجدّد الجدل بشكل

متواصل حول هذه

المسائل يسلط في ذاته

الضوء على أحد أهمّ

جوانبها: وهي أنّ هذه

المسألة غير محسومة



إذا لم تكن حدود

التطبيع محدّدة

بشكل واضح،

فذلك يفتح المجال

للإسراف في الاتهام

به وهو ما يفضي

في النهاية إلى

تضييعه

إسرائيل، استضافة من يحملون جواز سفر إسرائيلي على أراضيها... بمعنى أدق، يجب أن ينحصر التطبيع في كل ما نكون مسؤولين عنه -دولة وأفراداً ومؤسسات- بشكل كامل ويُشكّل اعترافاً مباشراً بشرعية هذا الكيان. فيما عدا ذلك، من المفروض أن نلتزم الحذر في الإلقاء بهذه التهمة الخطيرة والتي تمسّ من سمعة الأشخاص وشرفهم: العمالة والتخوين.

أما إذا شئنا توسيع دائرة التهمة إلى أقصى حدودها، فلا أحد ينازعنا في إمكانية اتّخاذ هذا القرار السياديّ. علينا فقط أن نكون مستعدين لتحمل نتائجهما كانت، فنقبل مثلاً ألا تكون لدينا علاقات مع غير "الشقيقة الكبرى". المهمّ في كلّ الحالات أن تكون الحدود واضحة بشكل لا لبس فيه. وفي الحقيقة، ليس هذا الجدل المتواصل حول مسألة التطبيع إلا سجلاً -يكاد يكون خاوياً- يفضح افتقارنا، كوطن عربي، لاستراتيجية واضحة في شأن القضية الفلسطينية منذ اتفاقيات أوسلو في تسعينات القرن الماضي.

لاتقاطها تحت إلحاح ضابط خبيث (وأعني بذلك الصورة التي التقطت لصابر الرباعي في 2016). أمّا التغنيّ بمساندة إخواننا المحاصرين في الأراضي المحتلة وفي نفس الوقت استنكار حوادث من العاديّ أن تحصل بفعل هذه المساندة ذاتها فلا يمكن أن يكون إلا لونا من ألوان الانفصام.

إذا لم تكن حدود التطبيع محدّدة بشكل واضح، فذلك يفتح المجال للإسراف في الاتهام به وهو ما يفضي في النهاية إلى تضييعه. يمكن أن تتصوّر نفسك مثلاً متهمًا بالتطبيع نظراً لأنك حيّيت الجالس جوارك في حافلة بين ميلانو وروما. لتجنّب ذلك، من المفروض أن تكون هناك ضوابط واضحة، والمفروض أن ينظّمها القانون لكيلا نسقط في عقوبات اعتباطية، من طينة سحب رتب علمية، دون أيّ سند. يمكن أن يشمل تحديد التطبيع على سبيل الذكر المشاركة في تظاهرة تنظّمها أو تساهم في تنظيمها جهة إسرائيلية (حتى إن كان في دولة أخرى)، حضور نشاط يقام في

نطلب منهم جميعاً قطع مساراتهم الجامعية التي تبشّر بكثير من التميّز والعودة إلى تونس فوراً للاكتفاء بتحصيل شهادة جامعية آفاقها شبه معدومة؟

أيّ ضوابط ممكنة؟

هل يعني ذلك إذن التخليّ عن القضية برمتها والارتقاء في أحضان من نحاربه؟ قطعاً لا، إذ لا يمكن أن نفترض مثلاً حسن النيّة في مغنّ يحيي عرساً لعائلة يهودية في قلب تل أبيب. لكن ينبغي إعادة النظر في المعالجات القسوية تجاه وضعيات من العاديّ جداً أن تنشأ بحكم الواقع. يعني ذلك مثلاً إذا قبلنا بعضوية اتحاد رياضي دولي ألا نتهّم بالخيانة رياضياً ألقته قرعة مشؤومة في مواجهة رياضيّ من دولة نعلم مسبقاً أنها عضو بنفس الاتحاد. يعني ذلك أنه إذا كانت هناك روابط أكاديمية وثيقة تربط جامعاتنا بجامعات بلد نعلم جيداً أنه يقيم علاقات مع إسرائيل أن نقبل أنه لا سلطة لنا على من تدعوه جامعات ذلك البلد إلى ندواتها. يعني ذلك أنه إذا قبلنا أنه لا حرج في زيارة الضفة الغربية والقدس خصوصاً، بما يعنيه ذلك من مرور عبر نقاط الحدود الإسرائيلية، ألا نزعج من صورة اضطرّ/خُدع فنّان

الشعبوية في تونس، أي معنى؟

قراءة في خطاب الرئيس قيس سعيد بمناسبة ختم دستور 25 جويلية 2022

أفقا غير محدودة، رؤوس أبنائه كانت دوما مرفوعة في السماء، لم يفقد الأمل، عانى من التفكير والتفكير، أبهى العالم كله من ديسمبر 2010 إلى تاريخ الاستفتاء. صحح برفقة الرئيس قيس سعيد مسار الثورة ومسار التاريخ، تحدى كل الصعاب ولم تنكسر إرادته، ذلل كل العقبات وواجه كل المشككين. واجبه كشعب حسب الرئيس أن يقوم بإصلاح مسار التاريخ ويكذب أراجيف جيوب الردة ويدحض الأعيبيهم ويفضح ممارساتهم. ولبلوغ جملة هذه الأهداف قرر الشعب انهاء وجود الدستور السابق حسب قول الرئيس مجددا.

تعتبر التبسيطية السياسية والاستخدام العاطفي لمفردة "الشعب" من أبرز خصائص الخطاب الشعبي، حيث يحرص المخاطب على استدعاء التراث والرموز التاريخية أحيانا للإمعان في الشحن العاطفي وإضفاء صبغة حماسية على مضمون الخطاب بغاية دغدغة مشاعر الجماهير وإثارة حماسهم. فالخطاب الشعبي هو خطاب مبهم وعمومي في الغالب ويميل إلى الإثارة والحماسة وإلهاب المشاعر وتقديم الأمل والوعود مع إحالات إلى التاريخ واستخداماته بصورة إيديولوجية وعلى نحو انفعالي، على حد وصف عبد الحسين شعبان.

يقول فيديريكو تاراغوني أن القادة الشعبويين يلعبون على الغموض في علاقة مفهوم الشعب. وهذا ما نلاحظه بوضوح في مجموع التوصيفات التي خاطب بها قيس سعيد الشعب التونسي، التي تعلي من شأنه بشكل مبالغ فيه وتزرع فيه الشعور بكونه كتلة نقية وصادقة أبهرت العالم بفضل قدرتها على إسقاط نظام الرئيس السابق زين العابدين بن علي بشكل سلمي ومواصلتها إثر ذلك الدفاع عن الثورة ومسار الحرية من خلال تواصل الاحتجاجات المقاومة لمسار الانتقال الديمقراطي الذي تم إرساؤه اثر الثورة. ونستطيع أن نستخلص من حرص الرئيس في خطابه على تحديد فترة المسار الثوري بكونها انطلقت يوم 17 ديسمبر وتواصلت إلى حدود يوم الاستفتاء بكونه يعتبر نفسه المنقذ لهذا المسار الذي استولت عليه طبقة سياسية فاسدة وحولت وجهته من خدمة مصالح الشعب الثائر، المحتج والغاضب إلى خدمة مصالح فتوية ضيقة.

أمر ما، كما أنه يرفض بشكل قاطع قبول أي دعوة لإجراء حوارات مع أي من وسائل الاعلام المحلية.

نقترح في هذه الورقة أن نحلل كلمة رئيس الجمهورية قيس سعيد بمناسبة ختم وإصدار دستور الجمهورية التونسية الجديد بتاريخ 17 أوت 2022.

تضمن خطاب الرئيس قيس سعيد: ثلاثة فاعلين رئيسيين وهم على التوالي، الشعب التونسي، الشباب، وقوى الردة المتمثلة بالأساس في السلطة القضائية.

الشعبوية اليمينية الهوياتية والمفاهيم الفضفاضة، "الشعب التونسي العظيم" و"الشباب الغاضب" في خطاب قيس سعيد نموذجاً

الخطاب هو المحمل اللغوي المباشر لمقاصد المتكلم التي يتوجه بها إلى المتلقي. فالعملية التخاطبية تبدأ إذن بالمخاطب، وبقدر ما يكون ناجحاً في إرسال الخطاب ومبيناً لمقاصده يتم فهم مقاصده ومعرفته معاني خطابه. لذلك يحرص قيس سعيد بشدة في خطابه الذي اخترنا أن نقوم بتحليله من خلال هذا العنصر على التركيز على مفهوم الشعب التونسي العظيم، الذي يعتبره كتلة نقية ومتجانسة، تدرج جيداً ما تريده وكيف تصل إلى مبتغاه، غير أنها تتعرض باستمرار إلى التنكيل من قبل أجهزة السلطة، التي لا تحرص إلا على خدمة المصالح الضيقة لرجالاتها. فكيف يتمثل قيس سعيد مفهوم الشعب في هذا الخطاب؟

مفهوم الشعب التونسي في خطاب قيس سعيد

بعد مراجعتنا لخطاب الرئيس قيس سعيد، الذي تتجلى أهميته في كونه يعبر عن تدشين بداية عهد الجمهورية التونسية الجديدة، إثر مرور الدستور الجديد بعد استفتاء 25 جويلية 2022 بنسبة 94.6 بالمائة. لاحظنا كونه يلجأ إلى الإسراف في اعتماد عبارة "الشعب التونسي العظيم"، حيث قمنا برصد ترددها لأكثر من عشرين مرة. كما أنه يبالغ في الإطناب في وصفه بكونه شعباً عظيماً رغم إمكانياته المحدودة فتح

يقول حمادي الرديسي أن المشهد السياسي التونسي بعد الثورة تميز في الخمس سنوات الاخيرة ببروز وسيطرة ثلاث اتجاهات سياسية ذات طبيعة شعبية على الساحة السياسية، "التيار الشعبي المناهض للثورة" ممثلاً في عبير موسي، "الشعبوية الليبرالية" ممثلة في نبيل القروي و"الشعبوية الثورية الهوياتية" ممثلة في قيس سعيد. بعد أن سيطر عليه في الخمس سنوات الاولى تيار الاسلام السياسي والنخبة الحدائية ممثلة في حزب نداء تونس.

تعتبر الشعبوية ظاهرة تاريخية، لا يمكن ان تفهم خارج سياقها التاريخي ودون الحفر في اصولها وظروف نشأتها وعوامل تطورها. حيث ظهرت في شكلها العصري في حدود منتصف القرن التاسع عشر في روسيا.

حسب أندريه مينو، نستطيع تعريف الشعبوية باعتبار قيامها على ثلاث خصائص، أولا فكرة الشعب الأصلي الذي لا بد من العثور عليه وإنصافه، رفض أفكار فلاسفة الأنوار وخيانة النخب التقليدية. وهي عبارة عن إيديولوجيا تصور المجتمع على أنه متكون من قسمين متجانسين ومتعارضين، "الشعب النقي الطاهر" في مقابل "النخبة الفاسدة". نادرا ما يتم تبني صفة الشعبوية من قبل اشخاص او منظمات سياسية، بل هي في العادة صفة يتم اطلاقها على الآخر السياسي بغرض الوصم والتبخيس من قيمته.

بالعودة إلى مجموع التحولات السياسية التي شهدتها تونس إثر منعرج 25 جويلية 2021 الحاسم في تاريخ تونس الحديث، نستطيع الجزم بأن تيار "الشعبوية الثورية الهوياتية" هو من انتصر سياسيا.

لاحظنا من خلال متابعتنا لاستراتيجية الاتصال السياسي التي يعتمدها الرئيس قيس سعيد منذ اعتلائه سدة الرئاسة أنه يحرص على اعتماد التواصل مع مجموع مواطنيه عبر إلقاء الخطابات الأحادية في المناسبات الوطنية الهامة أو عندما تقتضي الحاجة وتفرض عليه المستجدات الوطنية أن يدلي بدلوه في



بقلم: سوسن فري

الكاتبة العامة لجمعية تونس الفتاة

saoussen@tounesaf.org

”

تعتبر التبسيطية

السياسية والاستخدام

العاطفي لمفردة

"الشعب" من أبرز

خصائص الخطاب

الشعبوي

“



الصباح نيوز

يتمثل قيس سعيد قرارات 25 جويلية 2021 باعتبارها خطوة إصلاح لاسترداد المسار الثوري المغدور، حيث يصف الفترة السابقة بكونها فترة ساد فيها الظلام واستفحل الظلم في كل مكان، حسب تعبيره.

لذلك يعتبر حرصه على التأريخ باعتماد تاريخ 17 ديسمبر مسألة غير اعتباطية، حيث أنها تحيل على سردية تعتبر أنه تم السطو على الثورة ليلة 14 جانفي من قبل رجالات النظام السابق والنخبة القديمة أو ما يعرف بالدولة العميقة التي أعادت التموغ، عندما حرصت على إيجاد مخرج دستوري بعد مغادرة زين العابدين بن علي بتعيين الوزير الأول محمد

الغنوشي رئيسا للجمهورية ومن ثمة رئيسا للحكومة وتعيينه برئيس مجلس النواب فؤاد المبرع. على عكس تاريخ 17 ديسمبر الذي يؤرخ لإضرام محمد البوعزيزي النار في نفسه في ولاية سيدي بوزيد التي تقع في الوسط الغربي للبلاد التونسية، مما يحيل إلى استعادة لصراع تاريخي نشأ منذ دولة البايات بين المركز المتمثل في الحاضرة أي مدينة تونس وبقية مدن البلاد التي كانت تتعرض للتفكيك من قبل رجالات البايات والذين تخلصوا عندهم بالدولة في كونها جهازا فوقيا يلجأ إلى العنف لانتزاع النصب المفروض على الأهالي من الضرائب كل سنة، أو ما كان يعرف بالمجبى حينها.

نستطيع هنا أن نستحضر المواجهة لتاريخية التي وقعت بين سكان الدواخل، الذين تطلق عليهم عبارة "الأقايين" للتبخيس من قيمتهم، وبين سلطات الدولة عندما قرر محمد الصادق باي مضاعفة المجبى من 36 إلى 72 ريال سنة 1864. مما أشعل غضب الأهالي وقاد إلى ثورة علي بن غذاهم.

يستدعي إذا قيس سعيد كل هذا الإرث الرمزي لذاكرة شعب مشحونة بجروح عميقة عانت ويلات التمييز والتفرقة على أساس الانتماء الجهوي، وتواصلت مع دولة الاستقلال التي عمقت هذه الفروقات من خلال اعتمادها لخيارات تنموية غير عادلة بين جهات البلاد. حتى أن عالم الجغرافيا التونسي عمر بلهادي يعتبر أن تونس الحديثة تنقسم إلى قسمين، من جهة تونس الساحلية "المهمة"، ومن جهة أخرى تونس "الغير مهمة" والتي تشمل جهات تونس الداخلية، كما يوضح ذلك عمر بلهادي.

يصف حمادي الرديسي الإغلاء من قيمة هذا الفاعل أي الشعب بعبارة "وهم

الحقيقية في كافة المجالات وكل الجهات ويكفي تمكنه من الوسائل القانونية اللازمة ليتحقق ذلك.

بالنسبة لشعوبي اليمين الذين ينتمي إليهم الرئيس قيس سعيد الذين يفهم حمادي الرديسي بالشعوبيين الثوريين الهوياتيين، يتكون الشعب من الطبقات الشعبية الأكثر هشاشة، ومن متساكني الضواحي والاحياء الشعبية الذين لم ينالوا قسطا وافرا من التعليم ويعانون البطالة. نستطيع أن نلاحظ تركيز قيس سعيد في خطابه على فئة الشباب التي تتسم في تونس بكونها تعاني من الهشاشة، نظرا لارتفاع نسبة البطالة بين صفوف أبنائها وسيطرة الشعور بالإحباط والته على أغلبهم. يحرص قيس سعيد إذا على استهداف هذه الفئة الهشة، التي تطمح للتحور على مخلص ينقذها من الفشل المتواصل الذي منيت به حكومات ما بعد الثورة. إذ أن الشباب كان المحرك الرئيسي للثورة باعتباره فئة تعاني من انسداد الافق والهشاشة وخزانا احتجاجيا ضخما كان قادرا ولازال على تأجيج الشارع وحشده عندما يقتضي الأمر ذلك.

من هنا يتأتى تركيز قيس سعيد على الشباب باعتباره فاعلا اجتماعيا مؤثرا بصفة رئيسية في التوازنات الاجتماعية والسياسية في تونس.

وفي الحقيقة عانى الشباب التونسي منذ نهاية فترة حكم الرئيس الاول للجمهورية الحبيب بورقيبة من تعطل المصعد الاجتماعي مما أدى إلى تفهقر الوضعية الاجتماعية والاقتصادية لعدد وافر من المواطنين. يتمثل المصعد الاجتماعي في مفهوم سوسيولوجي يتم من خلاله رصد

الشعب"، حيث يقول بأن الشعبويين يستندون في خطاباتهم على الإغلاء من فكرة الشعب النقي أخلاقيا والظاهر الذي يعاني بسبب النخب الفاسدة أخلاقيا. هذا التمييز بين الشعب والنخبة هو تمييز معياري بالأساس أي أنه غير موجود في حقيقة الأمر، فالشعب ليس بمجموع السكان وليس بمجموع المواطنين الذين يمتلكون حقوقا وعليهم تأدية واجبات. الشعب الحقيقي بالنسبة للشعوبي هو مفهوم فضفاض بالأساس أو بالأحرى "فاعل فارغ" حسب تعبير أرنستو لاكلو.

ضمن هذا الشعب، يعتبر الشباب فئة رئيسية تمثل أكبر نسبة من عدد السكان في البلاد، كما أنهم محرك رئيسي للأحداث السياسية منذ انطلاق الاحتجاجات في ثورة 2011، حيث أن مختلف الاحصائيات تثبت أنهم يمثلون القوة الاحتجاجية الرئيسية التي تحرك الشارع طيلة العشرية الفارطة.

فكيف تعامل قيس سعيد مع هذا الفاعل الاجتماعي في خطابه؟

مفهوم الشباب الغاضب في خطاب قيس سعيد

لاحظنا خلال تحليلنا لخطاب قيس سعيد أن "الشباب" يعتبر فاعلا أساسيا في رؤيته السياسية، حتى أنه يخيل إلى المستمع بأنه يختصر "الشعب التونسي العظيم" في فئة الشباب. الذي يصفه بكونه ثروة لا تنضب ويتمثل دوره حسب قيس سعيد في المساهمة في التنمية

لاحظنا خلال

تحليلنا لخطاب

قيس سعيد أن

"الشباب" يعتبر

فاعلا أساسيا في

رؤيته السياسية،

حتى أنه يخيل إلى

المستمع بأنه

يختصر "الشعب

التونسي العظيم"

في فئة الشباب

طغوا على المشهد الديني في تونس بعد الثورة. حيث أيد مناصروه ودافعوا بشدة على موقفه الراض لفكرة المساواة في الميراث واقترحه استبدالها بفكرة العدل كما صيغت في المدونة الفقهية الاسلامية. ولم يتوقف قيس سعيد فقط عند حدود حملته الانتخابية، بل كرر حديثه عن رفضه القاطع لمسألة المساواة في الميراث في خطاب سابق له ألقاه يوم عيد المرأة التونسية بتاريخ 13 أوت من سنة 2020. حيث لم يكن الامر اعتباطيا، بل هو اشارة ذكية من قيس سعيد لجمهور ناخبيه بأنه لازل على العهد وفيما لكل وعوده الانتخابية وأفكاره ورؤيته المجتمعية، ولم تغيره شهوة السلطة كما غيرت الكثيرين ممن سبقوه. وفعلا حققت هذه الرسالة مبتغاهما، حيث احتفى بها جمهور مناصريه من الهوياتيين المحافظين، بل وأربك الاسلاميين الذين أضحوا يتحسرون في منشوراتهم على مواقع وسائل التواصل الاجتماعي على مكتسبات المرأة التونسية وعلى مدينة الدولة التونسية وحدائتها البورقيية.

كما تعتمد الرئيس في هذا الخطاب التعرض لقضية العدالة الاجتماعية، وهي ملف حارق بالنسبة للتونسيين من خلال اللجوء لعبارة "العدل الاجتماعي"، في اشارة واضحة إلى ارتباط هذا المفهوم بالمخيم الاسلامي الذي يحيل إلى فترة الحكم الرشيد والخلفاء الراشدين في فترة الاسلام الاولى. كما أنه لم يقترح أي حلول واقعية أو إجراءات عملية سيقع العمل بها لحل هذه المعضلة. بل لجأ مرة أخرى إلى التعويم من خلال الحديث عن ضرورة العمل على إرساء مقاربة وطنية شاملة لإيجاد حلول جذرية لمشاكل الفقر في البلاد دون تحديد ذلك بأجال معينة أو خطوات ملموسة لتجاوز هذا المأزق.

يتوهم الرئيس قيس سعيد المؤامرة ويؤكد في كل فرصة متاح له بأنه يقاومها بصلاية رغم أن كل المحيطين به يتأمرون عليه، حتى انه ذكر في إحدى خطباته بأنه تعرض إلى أكثر من محاولة اغتيال، وذكر في هذا الخطاب كون جيوب الردة عمدت إلى تعريض الاستشارة الوطنية الالكترونية التي سبقت الاستفتاء لأكثر من 120 ألف هجوم إلكتروني.

تتصف السلطة القضائية حسب قيس سعيد بكونها سلطة مؤسّسة (أي تم تأسيسها) وبالتالي لا يجوز لها، حسب قوله، أن تراقب إرادة السلطة التأسيسية الأصلية وأن تصدر الاحكام والقرارات باسم الشعب كما أن مرجعية القضاة في تونس غير مشروعة باعتبارهم يستمدونها من الدستور الذي انتهى العمل به. يتمثل دورها حسب رؤيته في ان تكون مستعدة وفي الموعد لمعاوضة جهود الرئيس ومؤازرته لمحاربة من خربوا

غير ديمقراطي، لأن المنتخبيين هم كذلك جزء من النخب.

تحتاج سياسات الهوية الى ثنائية تحكمها دائما، "نحن" و"هم" في اطار تضاد يمثل التناقض الذي يقود الى صراع غير عقلائي احيانا، في ظل احتراپ بين الحق والباطل والخير والشر. ولعل شعارات مثل الحرية والخير والكرامة التي ارتفعت في الشارع التونسي كانت تريد القول بأن من يوجد في هذه الميادين هو من يعبر عن تطلعات الشعب وليس السلطة، وحين أطيح بسلطة بن علي ارتفعت دعوات للترويج لفكرة العزل السياسي واستثناء المرتكبين أو اتباع النظام السابق من المواقع السياسية، وذلك تأسيسا على فكرة شعبية أساسية هي نحن الظاهرة والهم الخاسرة. وهي المسألة التي أقيمت على أساسها "فكرة العدالة الانتقالية" كما يشير إلى ذلك محمد الخراط.

تتصف قوى الردة في تونس حسب الرئيس بكونها متآمرة وتهاب سيادة الشعب، ويتمثل دورهم في كونهم حاولوا إفشال الاستفتاء والاستشارة الوطنية كما يحاولون باستمرار يائسين خائبين التشكيك في كل شيء، حسب تعبيره. كما يحرص على التعويم من خلال اعتماد عبارات فضفاضة بدون معنى مثل عبارات من قبيل "لأسباب تعرفونها" و"لأسباب معلومة لدى الجميع".

كما يندرج حرص الرئيس على مخاطبة الشعب باعتقاد اللغة العربية الفصحى على تعمدته مخاطبة الجانب الهوياتي المحافظ في علاقة بالشعب التونسي. حيث يشعر جزء غير هين من التونسيون بأنهم منبتون عن جذورهم العربية الاسلامية وفرض عليهم بشكل فوقي مسقط الارتباط بالنموذج الفرنكفوني الغربي من قبل النظام البورقيبي، والذي تواصل مع بن علي. كما أن أملهم خاب في الإسلاميين الممثلين في حركة النهضة بعد انتخابات المجلس التأسيسي، الذين غرقوا في خدمة مصالحهم الضيقة وأخذتهم شؤون الحكم وأهواء السلطة عن الايفاء بعهودهم في علاقة بإنشاء نموذج مجتمعي محافظ ومرتبطة بشكل أكبر بالهوية العربية الاسلامية. حيث بنى قيس سعيد لنفسه صورة المثقف الوسطي المعتدل، الجامعي الذي يرتاد المساجد ولا يفرض على زوجته وبناته ارتداء الحجاب، أي أنه يقبل بهوية المجتمع المحافظة، المتدينة دون مغالاة الاسلاميين والسلفيين الذي

وفهم حركة الأفراد بين مختلف المواقع في السلم الاجتماعي. ونعني بها مجموع التغيرات التي تطرأ على الوضع الاجتماعي لفرد ما مقارنة بالوضع الذي وجد عليه عائلته وفي مختلف مراحل حياته. يتمثل المجتمع التونسي الصعود الاجتماعي باعتباره مرتبطا بالأساس بالتعليم والنجاح الدراسي. حيث يتمثله اجتماعيا في صورة الطفل الذي ينتمي إلى أسرة ريفية فقيرة تقع في منطقة مهمشة ويتمكن بفضل تحصيله العلمي المتميز من الحصول على وظيفة مرموقة داخل إحدى مؤسسات الدولة ويحقق صعودا اجتماعيا رغم افتقاده لرأسمال اجتماعي أو ثقافي أو اقتصادي حسب عبارة بورديو. شهد هذا المصعد الاجتماعي تعطلا منذ الخيارات الليبرالية التي أملاها الانخراط في خطة الإصلاح الهيكلية سنة 1986.

يعتبر استيطان المؤامرة وإيهام الجماهير بأن القائد يتعرض باستمرار إلى مكائد ومؤامرات تحاك ضده في الغرف السرية من أبرز خصائص الخطاب الشعبوي اليميني.

فكيف تتجلى هذه الخاصية في خطاب قيس سعيد؟

وهم المؤامرة في خطاب قيس سعيد

بالانتقال الى المحور الثاني في خطاب قيس سعيد، الذي وصفه بأنه موعود سيتوقف عنده المؤرخون كثيرا نظرا لدرجة أهميته في تاريخ تونس المعاصر، نلاحظ كونه خصص حيزا كبيرا من خطابه للحديث عن قوى الردة المتمثل في الفاسدين والسلطة القضائية التي تعطل، حسب قوله، عملية محاسبة الفاسدين وتطهير أجهزة الدولة منهم. هذه القوى التي تمثل النخبة القديمة التي يعتقد قيس سعيد بأنه يحاربها. حيث يصفهم بكونهم يحنون إلى السيطرة على كافة مرافق الدولة في كل المستويات، حسب تعبيره.

حرص قيس سعيد على اعتماد عبارتي "نحن" و"أنتم" في خطابه يتنزل ضمن إحدى أهم خصائص الخطاب الشعبوي، الذي يعتمد الى اقامة تعارض حاد بين الشعب والنخب، أي ال"نحن" النقية و"الهم" المدنسة. تعارض لا يخلو من مفارقة، لأنه من المفترض أن النخبة تنتمي إلى الشعب وغير منفصلة عنه، فلا يستقيم بالتالي إقصائها من النسيج الاجتماعي واللحمة الوطنية، فضلا عن أنه تعارض

قيس سعيد حريص في لعبة حكمه مع

مختلف الفرقاء

السياسيين في

الساحة الوطنية على

المحافظة على

الرصيد الرمزي الذي

كونه خلال حملته

الانتخابية

أهم المراجع

- Belhedi Amor, « Le développement régional et local en Tunisie Défis et enjeux », p. 3, Texte présenté dans le colloque de LESOR (IRA), Colloque international « Développement socioéconomique et dynamique des sociétés rurales. Pluralité d'acteurs, gestion des ressources et développement Territorial » LESOR, IRA, Zarzis 3-5 mai 2016. Texte paru dans la Revue des Régions Arides, IRA, n° 24 (1/2018), pp.253-264.
- Mineau André, « Aux origines des populismes : les fondements historiques d'un concept », *Revue Tunisienne de science politique*, Numéro 4, Sem 2, 2020, Spécial populisme, p. 7.
- Redissi Hamadi, « Les populismes en Tunisie : essai de compréhension », in (Dir) Redissi Hamadi, Chekir Hafedh, Elleuch Mahdi, Khalfaoui Sahbi, *La tentation populiste, les élections de 2019 en Tunisie*, Cères Editions, L'observatoire tunisien de la transition démocratique, 2020, p. 28.
- Tarragoni Federico, *L'esprit démocratique du populisme : une nouvelle analyse sociologique*, Coll : l'horizon des possibles, Paris, La Découverte, 2019
- الخراط محمد بن محمد، الشعبية غزارة الاستعمال وندرة الضبط، الدين وقضايا المجتمع الراهنة، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، مجلة يتفكرون، 2019.
- شعبان عبد الحسين، الشعبية والديمقراطية، الدين وقضايا المجتمع الراهنة، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، مجلة يتفكرون، 2019.

نفس الدور الذي كان يقوم به سابقا. إذا فالصعود المفاجئ والمربك للتيار الشعبي في تونس إلى سدة الحكم هو نتاج لفشل مسار الانتقال الديمقراطي طيلة العشرية الفارطة، التي أصبح يصطلح التونسيون على تسميتها ب"العشرية السوداء"، في حالة إلى ما تعرضت إليه الجارة الجزائرية من إنهاك للدولة والشعب بسبب ويلات عشريتها السوداء.

يعتبر مفهوم الشعب في خطاب قيس سعيد الذي قمنا بتحليله مفهوما ملتبسا فهو في نفس الآن الحاكم صاحب الشرعية والمحكوم الذي يخضع لأحكام السلطة التي تحكمه. ونعتقد بأنه يتعمد أن يحافظ على هذا الالتباس حتى يغذي في صفوف منتخبيه نرجسيتهم باعتبارهم أصحاب السلطة التي لا يقوم هو سوى بتمثيلها وتجسيدها. كما أن تركيزه على مفهوم الاخلاق يرتبط كذلك ارتباطا وثيقا بالشعبوية اليمينية التي تحرص على دغدغة الجانب الهوياتي المحافظ عند جموع ناخبيه، الذين يعتقدون بأن قيس سعيد هو الممثل الصادق لنموذج الفرد التونسي المستقيم والمتدين المعتدل المعتز بانتمائه إلى المحيط العربي الاسلامي.

يعتقد فريدريك تاراغوني بأنه على عكس الفكرة السائدة التي تصور الشعبوية على أنها عدو حميمي للديمقراطية، وكونها مظهر من مظاهر الأزمة في الوضع السياسي في الدول التي برزت فيها، بل هناك من يذهب إلى اعتبارها دليلا على خلل النموذج الديمقراطي التمثيلي. يعتقد هذا الأخير بأن الديمقراطية تظل دائما مسارا غير مكتمل وهذا ما يجعل الشعبوية مكون أساسي من مكونات الديمقراطية ومنتج من منتجاتها وليس مجرد وباء خارجي يتهدها.

بالطريقة التي يعتقد أنها الأنسب لنا. فطالما عبر التونسيون عن حنينهم إلى نموذج الأب الحنون القاسي، الذي يحمل عن أبنائه عبئ التفكير في المستقبل ويوفر لهم ما يحتاجونه من أمن ورعاية وغذاء وخدمات أساسية في مقابل أن يسلموا له كل أمورهم، فيجازيهم عندما ينجحون ويعاقبهم عندما يخطؤون. لذلك يردد التونسيون بحسرة دوما كونهم يحنون إلى زمن "الزعيم" بورقيبة.

لذلك يحرص مناصروه على صفحات التواصل الاجتماعي وفي الشوارع على بث أفكار تنزه الرئيس عن الخطأ وتعتبر بأنه لا يسعى إلا إلى كل ما فيه خير إلى التونسيين، غير أن المكائد والدسائس التي تحوكلها له جيوب الردة هي من تحول دون تحقيق نجاحات ومكتسبات حقيقية في فترة حكمه.

من الجدير بالذكر أن التونسيين يعانون من صعوبات اقتصادية خانقة منذ أشهر عديدة، حيث يعانون بين الحين والحين من انقطاع ظرفي لبعض المواد الأساسية والخدمات الحيوية، كما أن أسعار المواد الاستهلاكية من غذاء ودواء ولباس عرفت ارتفاعا جنونيا في المدة الاخيرة. يشير الرئيس قيس سعيد باستمرار إلى أن قوى الردة تعمد إلى احتكار المواد الاساسية حتى تقتقد من السوق التونسية، لتأجيج غضب التونسيين ضده وتحميله مسؤولية تدهور مستوى معيشتهم.

الخاتمة

يقر أغلب الباحثين في العلوم السياسية بأن الشعبوية هي نتاج لمناخات الازمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تشهدها الانظمة الديمقراطية. ونستطيع أن نتجلى هذا في الحالة التونسية، حيث تصدر التيار الشعبي الهوياتي، ممثلا في مشروع الرئيس قيس سعيد، الذي ينتمي إلى الشعبوية اليمينية، المشهد التونسي وسيطر على دواليب الحكم فيه وأقصى بقية الفاعلين السياسيين من المشهد. حيث نلاحظ ارتباك بقية مكونات المشهد السياسي التونسي وطنية ومجتمع مدني، فحتى الاتحاد العام التونسي للشغل الذي يجمع التونسيون أنه لا يمكن ضمان استقرار المشهد السياسي في البلاد دون ضمان هدوئه ورضاه، تم تحييده وأصبح غير قادر على لعب

البلا من مفسدين. لا "أن يقوموا بالزج بالمبلغ عن الفساد في السجن وبيقون على المفسد حرا طليقا".

نستطيع أن نلاحظ كون قيس سعيد الذي يعتبر بأن حصول هذه التجاوزات، كأن يتم سجن المبلغ عن الفساد والإبقاء على الفاسد في حالة سراح. لا زال يعتبر بأنه لا ينتمي فعلا إلى السلطة رغم أنه يترأس أعلى هرم فيها منذ سنة 2019. ويتمتع بصلاحيات شبه مطلقة منذ 25 جويلية 2021 ويجمع كل السلطات بين يديه. ولكن المفارقة تكمن في كونه يعتبر اعتراضات المحكمة الادارية والاحكام الصادرة عنها بعدما أقرت توقيف تنفيذ قراره المتعلق بإعفاء عدد من القضاة، والنظر في طعون الاستفتاء ، تجاوزا لحدودها. حيث أنها حسب قوله تريد أن تلعب دورا مشبوها وأكبر من المسموح لها به، باعتبارها ترغب في أن تكون لها سلطة على الشعب صاحب السيادة. نستطيع أن نستشف من خلال هذا التعبير كون قيس سعيد يعتبر أن أي اعتراض على المسار السياسي الحالي هو اعتراض على ارادة الشعب التي ينفرد لوحده بتمثيلها. ولذلك تتلخص رؤيته لنفسه ولمشروعه في الجملة التالية التي ردها في خطابه "نحن اليوم نخوض ثورة في إطار شرعية مشروعة حتى النصر المبين".

نلاحظ بأن قيس سعيد حريص في لعبة حكمه مع مختلف الفرقاء السياسيين في الساحة الوطنية على المحافظة على الرصيد الرمزي الذي كونه خلال حملته الانتخابية. حيث يعتقد مناصروه بأنه "إنسان نظيف" يعادي النخب الفاسدة، يقطن في حي شعبي، يملك بيتا بسيطا ويقود سيارة شعبية. كما أن صورة المترشح الزاهد الذي رفض الحصول على أموال من الدولة للقيام بمصاريف حملته الرئاسية وجاب البلاد من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها في سيارته الخاصة، وخاطب الناس في المقاهي الشعبية، ساهمت في تشكيل هذه الصورة التي ساعدته على هزم خصومه السياسيين أخلاقيا، بعد ان ارتبطت بهم شبهة الفساد والثراء المشبوه والسريع ونهب مقدرات الشعب.

عملت شعبية قيس سعيد بشكل نسقي على لعبة إعادة البناء الرمزي لفكرة القائد المخلص من خلال استدعاء صورة الزعيم الأوحد الذي يجمع بين يديه كل السلطات، في استدعاء واضح للنموذج الابوي الذي أسسه الرئيس الراحل الحبيب بورقيبة، الذي يعلم ما يصلح بالتونسيين أكثر منهم وليس عليهم ليصلوا إلى بر الأمان سوى طاعته والامتثال لمشروعه السياسي من خلال منحه السلطة المطلقة لإدارة الدولة

خفايا الإذاعة التونسية في أواخر العهد البورقيبي: قراءة في كتاب عبد العزيز قاسم "بورقية المستمع الأكبر"



بقلم: فهمي رمزي

أستاذ مبرّز في التاريخ

عضو الهيئة المديرة لجمعية تونس الفتاة

fahmi@tounesaf.org

ملفاته ذلك أن المستمع الأكبر كان يريد جوابا فوريا، فالمدبر العام في نظره هو المسؤول الأول والوحيد عن الكبيرة والصغيرة في كل ما يبيث.

ويبين عبد العزيز قاسم كيف كانت تخضع علاقة المدير العام للإذاعة ببورقية إلى مزاج اللحظة، ففي بعض الأحيان يبدو الزعيم راضيا منشرا فينعم على المدير العام بالرضا والمودة وفي بعض الأحيان يبدو غاضبا فلا يرى إلا الأخطاء والعيوب.

بورقية مهووس بالتاريخ كذلك ويعي أهميته في صنع السردية الخاصة به، لذلك يُدرك دائما بتاريخه الشخصي وبنضالاته ويطلعنا عبد العزيز قاسم في هذا الإطار عن إحدى طرائفه، فقد حرص عند بناء دار الحزب بشارع 9 أفريل أن يوضع في أحد أركان المبنى أنبوب من الصلب الخاص يحتوي على قصيدة ملحمية للشاعر الطاهر القصار موجهة إلى الأجيال القادمة تسجل نضالات الشعب التونسي وإنجازات العهد البورقيبي وبذلك ستكون شهادة أثرية وستأخذ مكانها في المتحف الوطني وستذكرها كتب التاريخ وستؤكد الترابط الثقافي بين الأجيال التونسية.

تمثل الإذاعة المنبر الذي يدلي من خلاله الزعيم بأهم التصريحات المتعلقة بالوضع السياسي والحياة العامة ومن ذلك التصريح الذي أدلى به يوم 10 أفريل 1981 والمتعلق بالسماح بالتعددية الحزبية في البلاد وضرورة إجراء انتخابات ديمقراطية وشفافة ولكن يكشف عبد العزيز قاسم فيما بعد عما جرى من تزييف وإجهاض لأول تجربة ديمقراطية كانت ستعيشها البلاد ودور السيدة الأولى في تلك

بورقية المستمع الأكبر" صفة نحتها الإعلامي ورجل الأدب والثقافة عبد العزيز قاسم لتكون على شاكله "المجاهد الأكبر" وهي عنوان مؤلفه الأخير الصادر عن سراس للنشر في 2022 الذي يميظ اللثام عن كواليس وخفايا الإذاعة التونسية في أواخر العهد البورقيبي وعن علاقة الزعيم بورقية بهذا الجهاز الإعلامي الذي اعتبره امتدادا لاتصاله المباشر بالشعب أيام الكفاح الوطني. وقد كان بورقية مستمعا أكبر لأنه يستمع للإذاعة ما يقارب الست ساعات يوميا ويتفاعل مع ما يبيث بالاتصال في كل الأوقات: فجرا، مساء، في القيلولة، أو عند الصباح.

ويمكن القول بأن ما يرويه لنا عبد العزيز قاسم من ذكريات وأحداث وتفاصيل بين دفتي هذا الكتاب هو تاريخ لعلاقة السلطة بالإذاعة في فترة كثر فيها الصراع حول خلافة بورقية وتأججت فيها نيران الدسائس والفتن والمكائد. يقول عبد العزيز قاسم بأن هذا الكتاب هو "مجموعة ذكريات أبت أن يطويها النسيان لأنها محملة بالمعاني والعبر وهو عمل يندرج في إطار التاريخ الصغير ومحاولة لاستشفاف بقايا عبقرية الزعيم في خريف العمر وهوس هذا الرجل بالجزئيات والتاريخ والتفاصيل في مجال الإعلام والتثقيف".

بورقية والإذاعة

يبدو أن بورقية كان مهووسا بالإذاعة إذ لا يتوانى في التدخل في أدق التفاصيل فقد كان يتصل في كل الأوقات ليتساءل حتى عن أسباب توقف البث أو يستفسر أو يعلق على منوعة أو برنامج أو يتفاعل مازحا أو غاضبا. وكان جواب مثل "سأبحث وأثبت في الأمر ثم أعود إليكم" ينم حسب بورقية عن عدم إلمام المسؤول

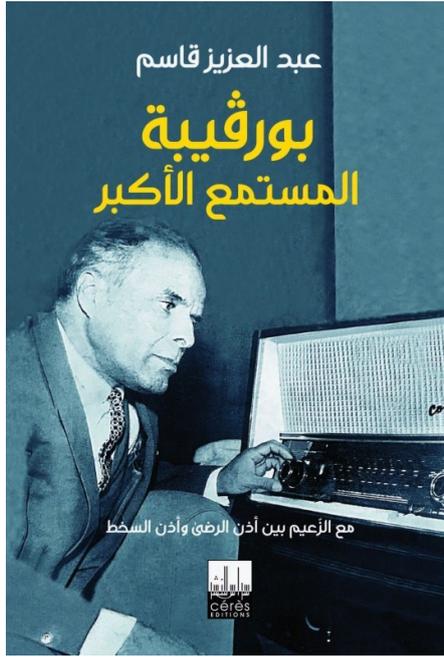
يبين عبد العزيز قاسم

كيف كانت تخضع

علاقة المدير العام

للإذاعة ببورقية إلى

مزاج اللحظة



العملية ويقر في نفس الوقت بالدور الذي لعبته مؤسسة الإذاعة ولو بقدر ضئيل في التأسيس لانفراج سياسي وإعلامي ملموس.

لم تخل الإذاعة من المخبرين... هذا ما يؤكد عبد العزيز قاسم إذ أنهم لا يتوانون في نقل كل كبيرة وصغيرة للسلطة وكل سهو يحدث يمكن أن يكلف المدير العام الكثير، فقد اتصل ادريس فيقة وزير الداخلية بعد مشاهدته لموجز الأبناء مستفسرا عن سهو في تغطية نشاط الرئيس. لذلك يرى عبد العزيز قاسم أن "منصب المدير العام لا يخلو من المزالق والفضاخ" إذ يمضي كل وقته في محاولة تجنب الوقوع في المطبات، من ذلك ما يرويه المؤلف من وشاية وصلت للرئيس بعد إذاعة حديث عن الاستقلال لم يذكر فيه الحبيب بورقية، فصرخ هذا الأخير في وجه المدير العام " هذا الاستقلال جاء تلقائيا؟ يمشي على قدميه... لا منافي لا قيادة لزعامة لا سجون".

بورقية والأدب

أدلى بورقية بتصريح في ربيع 1976 متعلق بالأدب زلزلت له الأرض زلزالها وأخرج لها أثقالها إذ قال في كلمته "لا تتحقق النهضة بالشعر والقصة وإنما بامتلاك العلوم الصحيحة والتكنولوجيا" وقد أدى هذا التصريح إلى عزوف التلاميذ عن المواد الأدبية والإنسانيات وتوجههم نحو العلوم الدقيقة وقد أدرك عبد العزيز قاسم أن هذا التصريح ظرفي ولا يمثل التصور البورقيبي للتطور الحضاري فأصدر تعليمات بالكف عن اختيار وبث مثل هذه التصاريح الظرفية التي قد يدلي بها الرئيس في قالب مشاحنات سياسية ليست بمهمة.

بورقية والمسائل الدينية

يتعرض المؤلف كذلك في كتابه إلى الرؤية البورقيبية للدين، حيث يعتبر بأن بورقية كان علمانيا وضعيا على مذهب أوغست

كونت، لكن علمانيته لا تنكر أهمية العامل الديني في حياة المجتمعات وفي ضمائر الشعوب، ولذلك كان يحفظ العديد من الآيات القرآنية التي يستشهد بها عند الحاجة. كما حرص أيضا على أن تكون مجلة الأحوال الشخصية مستمدة من روح القرآن والسنة لتكون تجسيدا لاقتناعه بالاجتهاد في النص الديني من أجل مساندة العصر. في هذا الإطار يروي لنا عبد العزيز قاسم تفاصيل تتعلق ببورقية وخطبة الجمعة إذ كان في البداية رافضا لبث خطبة الجمعة في الإذاعة ثم سمح بذلك فيما بعد. ومن أهم المواضيع التي يريد بورقية التطرق إليها في خطب الجمعة الإسلام والعقل، الإسلام والعلم الإسلام والتضامن.

يذكر عبد العزيز قاسم كيف قامت الإذاعة آنذاك بتر كل ما يتعارض في الخطاب مع العقلانية التي كانت تود البورقيبية إرسائها، إذ أصبحت خطب الجمعة تتعرض للرقابة بعد حادثة تمثلت في تركيز الإمام على الآية التالية "في قلوبهم مرض فزادهم الله مرض" في وقت كان فيه بورقية مريضا وطريح الفراش بعد تعرضه لنوبة قلبية.

بورقية والعقدة المصرية

توجه بورقية نحو الغرب عكس عديد الأنظمة العربية المعاصرة له، كما كان له تصور خاص للفكر القومي قائم على الإيمان بالقومية القطرية عكس الرئيس المصري جمال عبد الناصر الذي كان يخالفه في عديد التصورات والآراء. وقد ازداد الخلاف بين الرجلين خلال فترة الستينات. ومن باب الإغاطة، عمل بورقية بمساع حثيثة لإنقاذ سيد قطب من حبل المشنقة معتبرا إعدامه جريمة نكراء في حق الفكر الإسلامي وبعد هزيمة 1967 تهكم بورقية على شرح عبد الناصر لأسباب النكسة وانضم إلى

لم تخل الإذاعة

من المخبرين ...

هذا ما يؤكد

عبد العزيز قاسم

إذ أنهم لا يتوانون

في نقل كل كبيرة

وصغيرة للسلطة

بدايات القلق والنهاية

ازدادت الأمور تأزماً بعد منتصف الثمانينات مع تغول سعيدة ساسي التي وخلافاً لوسيلة بورقيبة عبثت بهيبة الدولة حسب ما يذكر الكاتب، فقد جعلت من الزعيم وهو في خريف العمر أداة طيعة أبعدت بها كل الخصوم وحتى الأصدقاء الأوفياء له مثل علالة العويطي ومحمد مزالي والحبيب بورقيبة الابن ويستخلص عبد العزيز قاسم من كل هذه المحن قائلاً "والمأمل في تلك المرحلة العصيبة لا يسعه إلا أن يتعجب وأن يأسف لحصول ما حصل نخبة سياسية أفرزتها السياسة البورقبيية الحصيفة أصابتها اللعنة الميثولوجية الإغريقية فتصارعت على الحكم استنزفت بعضها بعضاً إلى أن سطا من سطا على مواقع التأثير وجاء من لم يكن منتظراً فاستحوذ على الرهان وأمسك بالعنان".

يعتبر هذا الكتاب في النهاية مرجعاً تاريخياً مهماً لكل من يريد الاطلاع على بعض سمات الواقع الإعلامي في فترة الثمانينات وعلاقته بالسلطة والسياسة وهو كذلك سردية تاريخية تندرج ضمن التاريخ الصغير الذي ينبر ويكشف التاريخ الكبير. يمكننا فقط الإشارة إلى تداخل بين الإيديولوجي والمعرفي في هذا الكتاب وكذلك تداخل التاريخ والذاكرة فعادة ما تنتقي الذاكرة الاحداث التي تخدم الحاضر في حين تقصي بقية الحقائق الأخرى.

العزیز قاسم إلى الأستوديو مرة أخرى يوم 23 سبتمبر 1985 في جو من القلق الذي بدأ يعصف بالبلاد وكان صيف 1985 حسب ما يذكر المؤلف صيفاً ساخناً تأزمت فيه العلاقات مع ليبيا ولوّح الاتحاد العام التونسي للشغل بالإضراب، كما أظهر الحبيب عاشور طموحاته الرئاسية. وجد عبد العزيز قاسم نفسه آنذاك في معركة كلامية مع إذاعة الجماهيرية وحملة إعلامية مع قيادات الاتحاد.

اليوم الأطول

اليوم الأطول الذي سيروي لنا تفاصيله عبد العزيز قاسم كما عاشه كان حتماً يوم الثلاثاء 1 أكتوبر 1985 يوم مهاجمة إسرائيل لحمام الشط. كان يوماً عصيباً على الإذاعة التونسية التي ارتكبت ما اسماه المؤلف "بالغبن المهني" من خلال بثها وتكرارها لخبر غارة جوية قامت بها "طائرات مجهولة الهوية"، في حين أن أغلب وسائل الإعلام العربية الأخرى ظلت تتحدث عن هجوم إسرائيلي ونتيجة لهذا الخطأ الفادح تتالت مكالمات المواطنين حسب ما يذكر قاسم تتهم الإذاعة بالتكتم الجبان على العدوان. يذكر المؤلف تفاعل العقيد القذافي مع هذا الهجوم حيث لم يتوان في التعبير عن شماتته كما تهكمت وسائل الإعلام الليبية على الطائرات مجهولة الهوية واعتبرت ذلك جزءاً كل عميل للأنظمة الصهيونية-أمريكية فكان رد عبد العزيز قاسم كالتالي "أيها العقيد المعقد هاجمتنا إسرائيل لأنها تعلم أننا نناصر القضية الفلسطينية بكل ما أوتينا من جهد والسؤال الحقيقي هو لماذا لم يهاجم العدو الصهيوني طرابلس؟"

صف المشككين في انتحار عبد الحكيم عامر لكن وعلى الرغم من هذه "العقدة المصرية" يؤكد المؤلف أن بورقيبة كان يكن تقديراً للرئيس المصري جمال عبد الناصر بدليل أن شوارع العاصمة تحمل عدة أسماء مصرية.

الإقالة

يروى لنا عبد العزيز قاسم تفاصيل الإقالة التي جاءت عشية الجمعة 11 مارس 1983 والتي كانت نتيجة لعدة تراكمات منها ما يتعلق بالمهارات التي تم شحن الرئيس بها ومنها ما يتعلق بتفاصيل المقابلة التي أجرتها الإذاعة مع المناضلة النسوية نوال السعداوي والتي أثار تصريحها غضب بورقيبة حيث قالت بأن "هناك من يرى أن تحرير المرأة يتم عن طريق سن القوانين مثل تطوير الأحوال الشخصية وهذا لا يجدي نفعا فالمعركة نسائية بحتة ضد ظلم الرجل والأديان". تتمثل كذلك الأسباب الأخرى للإقالة في كون عبد العزيز قاسم كان محسوباً على الوزير الأول محمد مزالي بحكم وجود صراع بين وزير الإعلام الطاهر بلخوجة والوزير محمد مزالي. ويعتبر عبد العزيز قاسم بأن مثل هذه الصراعات داخل العائلة البورقبيية أخطاء فادحة عادت بالوبال عليها.

من صخب الأستوديو ينتقل عبد العزيز قاسم بعد إقالته إلى سكون قاعة المطالعة بالمكتبة الوطنية لكن السياسة ظلت تلاحقه خاصة مع صعود سعيدة ساسي للقصر وسيطرتها على مجريات الأمور وضعف وسيلة بعد إقالة الطاهر بلخوجة وعزوز الأصرم. يعود عبد

اليوم الأطول الذي

سيروي لنا تفاصيله

عبد العزيز قاسم كما

عاشه كان حتماً يوم

الثلاثاء 1 أكتوبر 1985

موتٌ مؤجّل: قراءة في رواية "دستوبيا 13" لمحمد بوكوم



بقلم: كوثر الرّدادي

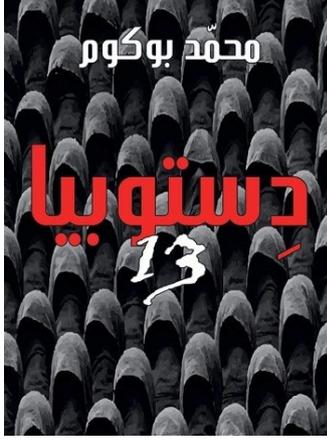
مُتخصّلة على الماجستير في اختصاص
التنمية المحلية والعمل الجمعياتي

kawtherraddadisoc
@gmail.com

إلى عوالم أخرى بأبواب من قش يسهل فتحها على عكس أبواب هذا العالم الحديدي الموصد بقسوة في وجوههم " (ص13).

لم يعزّ على الكاتب فتح أبواب للجمال والفرّ والحب، وإن كانت سرعان ما تغلق، مع شخصية وليد ورفاقه بالعاصمة وخصوصا شخصية "راوية" التي مثلت رمزا وعنوانا للحياة بما تحمله من جمال وخير ومساعدة على الرغم ممّا تعانیه بدورها، كامرأة، من قمع أسريّ مصدره والدها إضافة للتعنّف المحلي الذي يدفعها للتفكير في مغادرة البلاد نهائيا. وهي فكرة يلتقي حولها جيل بأكمله من الشباب ضاقت به سبل البقاء والاستمرار وصار نداءً للبوّس والعدم الذي حوّلته لفريسة سهلة تستقطبها تيارات الإهابة والمخدرات خصوصا في سنوات ما بعد 2011 أي مباشرة إثر الثورة.

الالتقاء حول فكرة الرحيل أو الهجرة تعبّر عنه كذلك الأصوات السردية المتعددة إذ نجد مراوحة في الضمائر بمدلولها عن الغائب بين المفرد "هو" / "هي" و"الهم" جماعة أو جماعات كسكّان الحي ورجال الشرطة وما تمتلكه تلك "الهم" ككتلة بشرية و سلطوية من قدرة على المحاكمة الاجتماعية والتحكّم والسيطرة، سواء منها المادية أو الرمزية، في حياة الأفراد وخصوصا منهم المنتمين لحلقات اجتماعية ضعيفة تعيش صراعا يوميا مع رموز النظام وتكابّد للبقاء. فالواقع من خلال هذه الرواية يعبّر بنفسه عن نفسه داخل العالم السردّي وخارجه، فالرواية تتضمن رسائل وأخبار عديدة ينقلها الكاتب ويثنها عبر سرده لحياة البطل "وليد" وأبناء حيّه وليس مجرد سرد، بل كشف لعنف البوليس وصناعة الإهابة والإجرام ثم التواطؤ مع مرتكبيه وخلق شبكات للجريمة المنظمة في السلاح والمخدرات وغيرها...



السلام أيضا في "النومة الأخيرة" يُلخّص مجمل أطوار حياة البطل ورحلته في البحث عن معنى التي يعيقها منطق التّعنّف السائد. حياته مرّت من الأزمة (البطالة وحياة العبث في الحي) إلى الانفراج (الحصول على عمل ومغادرة الحي) ثم سرعان ما تسقط مجدّداً في المعاناة فيجد نفسه مورّطاً دون علم منه ولا إرادة في أخطاء الآخرين فيأخذ جزاءهم. كما وظّف الكاتب تقنية الارتداد والاستباق في الأحداث والاسترجاع والتنبؤ في الزمن وذلك بغية توضيح تقاطع القصص.

تواصل الدلالة المكانية حضورها على امتداد هذه المحكيّة، ذلك أنّ الحيّ الذي تدور فيه أغلب أحداث الرواية لم يختّر له الكاتب اسما محدّدا بل تركه مفتوحا وفي ذلك إشارة لعدّة أحياء تونسية وتخصيصا الشعبية منها حيث تتشابه الحياة فيها، فيمكن للقارئ منّا أن يتخيّل "الحيّ الديستوبي" حيّه؛ حيث رجال الشرطة بمداهماتهم الليلية وصفعاتهم المعتادة والشباب الملاحق دوما والذين لا يرون نورا سوى في عمود الشارع الذي يُقوّنون الليل تحته لاعتين حظوظهم. وقد خصّهم الراوي بوقفات وصفية: " ومع كل نفثة دخان كانوا يسافرون

إنّ ما يُكسب عملا روائيا ما خصوصية هي الموضوعات المطروقة فيه، ويمكن لإخفاق ما بعد الثورة التونسية وما تبعه من إحباط أن يكون موضوعا تُسج منها تفرّعات سردية متعدّدة. فكثيرا ما ارتبط الأدب ونبع من رجم الواقع وبخاصة إذا كان مأسوياً، لدرجة نقف فيها أحيانا على صعوبة تبيّن الخطّ الفاصل بينه وبين الخيال! وهو الحال في رواية "دستوبيا 13" لمحمد بوكوم الصادرة عن دار بجديات للنشر في طبعها الأولى عام 2021 وتضمنت 118 صفحة.

تندرج الرواية ضمن أدب "المدينة الفاسدة" أو "الديستوبيا"، عكس يوتوبيا المدينة الفاضلة، وهو العنوان الذي اختاره الكاتب وصفا صريحا لأحداثه وشخصه ويمكن للقارئ من خلاله أن يحدس الفكرة أو الإطار العام للرواية وكذلك معجمها: القتل/ القمع/ الفقر.. حيث تتراجع القيم الإنسانية ويحلّ محلّها الشرّ المطلق والتعنّف.

اختار الكاتب تقسيم روايته إلى ما يشبه الفصول فخصّ كل حدثٍ وشخصية جديدة، لها دور في تقدّم الأحداث، والانتقال في المكان بعنوان: يحمل اسم إحدى الشخصيات مثل "تورو"، "عبد الحميد" وعناوين أخرى تدلّ عن حدثٍ أو تغيّر طارئٍ في حياة الشخصية المحورية للرواية وهي شخصية "وليد" مثل: "الضيف الأبيض"، "العشاء الأخير". ثم المكان الذي يحمل رمزية ودلالة خاصة في الرواية حيث كانت افتتاحية الأحداث في المقبرة أين يستيقظ البطل من نومه وحيث ينتهي كذلك نائما نومته الأخيرة. هذا التّدوير والعود على بدأ في المكان برمزيته المحلية على الصّمت والهدوء ورّمها

الواقع من خلال هذه

الرواية يعبّر بنفسه

عن نفسه داخل العالم

السردّي وخارجه



جمعية تونس الفتاة

الهاتف: 52223213

البريد الالكتروني: contact@tounesaf.org

الموقع: www.tounesaf.org

فايسبوك: facebook.com/tounesalfatet

تويتر: twitter.com/tounesalfatet

انستغرام: [@tounesaf](https://www.instagram.com/tounesaf)